الصراع بين الناتو وروسيا: حرب الأقطاب الجديدة وتشكيل النظام العالمي

أحمد زكريا الخنسا(*)

مقدمة

يمثل الصراع المتصاعد بين الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الغربيين من جهة، وروسيا الاتحادية من جهة أخرى، الأزمة الجيوسياسية الأكثر محورية في القرن الحادي والعشرين. لم يعد هذا الصراع مجرد خلاف حول حدود أو مناطق نفوذ، بل تحول إلى مواجهة شاملة متعددة الأبعاد، تتجاوز الأبعاد العسكرية والأمنية التقليدية لتشمل الاقتصاد والأيديولوجيا وحرب السرديات. إنها معركة حول شكل النظام الدولي المقبل، وتحديد ما إذا كان سيستمر تحت الهيمنة الغربية الليبرالية الأحادية القطب، أم سيتجه نحو نظام متعدد الأقطاب تقوده قوى صاعدة مثل روسيا والصين.

إن الصراع الحالي بين الغرب وروسيا ، هو تتويج لجذور تاريخية عميقة، وليس مجرد نتيجة لأحداث معاصرة كأزمة أوكرانيا. هذا الصراع هو مزيج معقد من التنافس الجيوسياسي على أوراسيا، والخلاف الأيديولوجي حول القيم وأنظمة الحكم، والتنافس الاقتصادي على الموارد وسلاسل الإمداد. إن فهم هذه الجذور والأبعاد هو المفتاح لاستشراف آفاق الصراع وسيناريوهاته المستقبلية.

سياق الصراع: من ٢٠١٤ إلى ٢٠٢٢ كنقطة تحول

على الرغم من أن العلاقات بين روسيا والغرب تدهورت بشكل كبير بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، فإن نقطة التحول الحاسمة كانت في عام ٢٠١٤ مع ضم روسيا لشبه جزيرة القرم ودعمها للانفصاليين في شرق أوكرانيا ذو الاصول الروسية. هذا الحدث أطلق الموجة الأولى من العقوبات الغربية واطلق اشارة الى عودة التمدد الروسي، وأعاد رسم الخريطة الأمنية لأوروبا.

(*) باحث لبناني في الشؤون الاستراتيجية.

ومع ذلك، فإن الغزو الروسي الشامل لأوكرانيا في فبراير ٢٠٢٢ هو الذي حول الصراع من نزاع إقليمي متجمد إلى مواجهة عالمية واسعة النطاق. لقد وحّد هذا الغزو الغرب تحت مظلة حلف الناتو، وأعاد تعريف روسيا كـ "تهديد وجودي" لأمن أوروبا، مما أدى إلى حشد غير مسبوق للدعم العسكري والاقتصادي الغربي لأوكرانيا، ودخول الطرفين في ما يمكن وصفه بـ "حرب بالوكالة" طويلة الأمد.

منهجية المقالة وتقسيمها

تنقسم هذه المقالة إلى أربعة فصول رئيسية:

١- الجذور التاريخية والجيوسياسية: تحليل الإرث التاريخي للصراع من العصور الوسطى حتى نهاية الحرب الباردة ومرحلة توسع الناتو.

٢- الأبعاد الشاملة للصراع الحالي: تفكيك الصراع إلى أبعاده العسكرية، والاقتصادية، والأيديولوجية.

٣- دور الولايات المتحدة في تأجيج الصراع وتوجيهه: دراسة الاستراتيجية الأمريكية وموقف الإدارات المختلفة وتأثيرها على حلف الناتو.

٤- الآفاق المستقبلية والسيناريوهات المحتملة: استشراف مسارات الصراع وتأثيره على شكل النظام الدولي المقبل.

الجذور التاريخية والجيوسياسية للصراع

يرى العديد من المحللين الروس أن الصراع مع الغرب ليس حديث العهد، بل يعود إلى الانقسام الحضاري والثقافي الذي بدأ مع انقسام الإمبراطورية الرومانية والشقاق الكبير في الكنيسة المسيحية (الكاثوليكية والأرثوذكسية).

بعد سقوط القسطنطينية روما الشرقية في عام ١٤٥٣، ظهر مفهوم "موسكو – روما الثالثة" في الفكر الروسي، حيث اعتبرت موسكو نفسها الوريث الروحي والسياسي للحضارة البيزنطية الأرثوذكسية، في مواجهة الغرب الكاثوليكي والبروتستانتي. هذا المفهوم يعكس شعورًا روسيًا عميقًا بالتميز الحضاري والعداء التاريخي تجاه الغرب الذي لم يقبل أبدًا بوجود كيان سلافي أرثوذكسي قوي ومستقل في الشرق.

حقبة الحرب الباردة: التنافس الأيديولوجي والجيوسياسي

شكلت الحرب الباردة (١٩٤٧-١٩٩١) الإطار الحديث للصراع، حيث تجسد التنافس في شكل صراع أيديولوجي بين الرأسمالية الليبرالية بقيادة الولايات المتحدةوالشيوعية بقيادة الاتحاد السوفيتي. كان الصراع جيوسياسيًا بامتياز، تمحور حول السيطرة على أوراسيا وتقسيم العالم إلى مناطق نفوذ عبر حلفين

عسكريين متنافسين: حلف شمال الأطلسي الناتو وحلف وارسو.
كانت هذه الحقبة تتميز بالردع النووي المتبادل MAD، الذي منع المواجهة العسكرية المباشرة بين القوتين العظميين، لكنه لم يمنع حروب الوكالة والصراعات الإقليمية التي غذتها المنافسة بين المعسكرين.

مرحلة ما بعد الاتحاد السوفيتي: توسع الناتو والوعود المزعومة

مع انهيار الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٩١، ساد اعتقاد في الغرب بـ "نهاية التاريخ" وانتصار الديمقراطية الليبرالية. كان من المتوقع لدى الكثيرين أن تندمج روسيا في النظام الغربي، لكن ما حدث كان عكس ذلك.

– **توسع الناتو شرقاً:** على الرغم من الوعود الشفهية المزعومة التي قُدمت للقادة الروس في بداية التسعينيات بعدم توسع الناتو "شبرًا واحدًا شرقًا"، بدأ الحلف في ضم دول أوروبا الشرقية والوسطى التي كانت سابقًا جزءًا من حلف وارسو أو الاتحاد السوفيتي.

– **التهديد الوجودي لروسيا:** تنظر روسيا إلى هذا التوسع، خاصة بعد ضم دول البلطيق، كـ تهديد وجودي لأمنها القومي، حيث أصبحت القوات الغربية على مقربة من حدودها الاستراتيجية . هذا التوسع هو السبب الجذري الذي تستند إليه موسكو لتبرير سياساتها العدوانية في أوكرانيا وجورجيا.

الأبعاد الشاملة للصراع الحالي

تحول الصراع الحالي إلى ظاهرة شاملة تمزج بين عدة أبعاد متداخلة: العسكري، والاقتصادي، والأيديولوجي.

البعد العسكري والأمني: حرب الاستنزاف في أوكرانيا

تُعد الحرب في أوكرانيا حاليًا حرب بالوكالة بين روسيا والغرب، حيث يتدفق الدعم العسكري الغربي بقيادة الولايات المتحدة على كييف لتمكينها من الصمود ، إلى القدرة على شن هجمات كبرى، ما يجعل الصراع مفتوحًا على المجهول ويزيد من المخاطر الأمنية الإقليمية والدولية. هذه حرب طويلة ومُنهكة، لا يُكافأ فيها الصبر سريعًا ولا تحُسم بخطاب. إنها تُعيد رسم حدود القوة، وتَستنزف الرجال والعتاد والإرادات. إذا أردت أن ترى جوهرها: إنها صراع على الزمن—من يصمد أكثر، ومن يكسرّ إرادة الآخر أولاً.

البعد العسكري

– **الجمود العسكري:** ان التقدم العسكري الروسي يتم ببطئ وبكلفة عالية جعل الغرب يعتقد بتكافئ القوى، ويوجد تقارير استخباراتية أميركية تشير إلى أن

الحرب وصلت إلى طريق مسدود، إذ لا تملك موسكو ولا كييف الموارد الكافية لشن عمليات واسعة النطاق، رغم ذلك، نفذت أوكرانيا هجمات مباغتة مثل التوغل في مقاطعة كورسك الروسية، في محاولة لتغيير ديناميكية الصراع وخلق مناطق عازلة. روسيا تعتمد على الضربات الجوية بالطائرات المسيّرة والصواريخ، بينما تركز أوكرانيا على الدفاع الجوي والضربات المضادة المحدودة. الحرب أصبحت الأطول والأعنف في أوروبا منذ عقود، مع خسائر كبيرة في الأرواح والبنية التحتية، ما يعكس طبيعة الاستنزاف المستمر استراتيجية الزمن الروسية: تظهر ملامح لعبة طويلة قائمة على الاستنزاف والرهان على عامل الوقت، دون أن يلوح انتصار حاسم أو انهيار وشيك لأي طرف، ما يدفع الغرب إلى سؤال: هل يكتفي بردود الفعل أم يبني استراتيجية دعم طويلة المدى؟.

– **تحوّل الصراع إلى حرب موارد:** منذ الأشهر الأولى، بدأت المعركة تنزلق نحو حرب استنزاف واسعة الأمد، حيث يزداد وزن المدفعية والدفاع الجوي والذخائر الدورية مقارنةً بالاختراقات المدرعة السريعة.

البعد الأمني

– **مدن تحت القصف ومعنويات تحت الضغط:** استمرار الضربات الجوية والمسيّرات على كييف وخاركيف يفرض دورات إنذار/تصدي مرهقة، ويستهلك الدفاعات الجوية عالية الكلفة؛ الأمن المدني يصبح جزءًا من الاستراتيجية العسكرية، لا مجرد خلفية.

– **ارتداد إقليمي على الأمن الأوروبي:** الحرب أعادت الناتو إلى مهمته التأسيسية في الدفاع الجماعي ضد روسيا، وثبّتت حضورًا عسكريًا أمريكيًا دائماً في شرق أوروبا (مثل بولندا)، ما يعيد ترتيب بنية الردع على كامل الجناح الشرقي.

– **حافة نووية كأداة ردع سياسية:** الاستخدام الخطابي للردع النووي يُبقي احتمالات التصعيد قيد الحسبان ويجبر الغرب على ضبط سقف الدعم والدوافع العملياتية؛ هذا يخلق "قواعد اشتباك غير مكتوبة" تحُافظ على الاستنزاف وتمنع الانفجار الشامل.

– **الطيف الرمادي:** (سايبر وطاقة وتأثيرات عالمية): الهجمات السيبرانية والتلاعب بأسواق الطاقة والحبوب أدوات موازية للاستنزاف، تُصعّب تقدير الكلفة الحقيقية وتُعمّم الأثر إلى خارج الجبهة.

دلالات استراتيجية

– **توازن القوّة عبر الجمود المتحرك:** عام ٢٠٢٤ مال ميدانيًا لصالح روسيا مع تقدّم ملحوظ وسيطرة على نحو ٢٨٠٠ كلم^2، فيما عجزت كييف عن

تحرير أراض أو تنفيذ عمليات مضادة واسعة على غرار ٢٠٢٢-٢٠٢٣ .

– **تكيف تكتيكي بدل اختراقات استراتيجية:** أوكرانيا كثّفت استخدام المسيّرات الهجومية وحصلت على الضوء الأخضر لضرب العمق الروسي بصواريخ بعيدة المدى، إلى جانب إدخال طائرات F-16، لكن هذه العناصر ترفع كلفة روسيا أكثر مما تُنتج انقلابًا في ميدان القتال.

– **إمدادات وضغط ناري:** الاستنزاف يعني الإبقاء على ضغط ناري متواصل مع ترشيد موارد نادرة (ذخائر مدفعية، دفاع جوي، أطقم مدرعات). روسيا تستفيد من تعبئة صناعية تدريجية؛ أوكرانيا تعتمد على سلسلة دعم غربي تتأثر بالسياسة والمخزون.

– **الخسائر التراكمية كأداة حرب:** تقديرات غربية تشير إلى خسائر بشرية أوكرانية كبيرة؛ الأرقام مثار جدل لكنها تعكس جوهر الحرب: إنهاك مستمر وميزان استنزاف يمس القدرة القتالية والروح المعنوية معًا.

– **مخاطر أمنية عالمية:** استمرار الحرب يهدد الأمن الغذائي والطاقة عالميًا، ويزيد من احتمالات اندلاع أزمات جديدة مرتبطة بالصراع.

باختصار: حرب الاستنزاف في أوكرانيا ليست مجرد مواجهة عسكرية، بل هي معركة أمنية واستراتيجية مفتوحة، حيث يسعى كل طرف إلى إنهاك الآخر بدلاً من تحقيق نصر سريع، ما يجعلها واحدة من أخطر النزاعات في القرن الحالي.

العوامل الحاسمة في ميزان الاستنزاف

– **ذخائر المدفعية والدفاع الجوي:** من يملك مخزونًا مستدامًا وتدفقًا لوجستيًا ثابتًا يتحكم بإيقاع المعركة.

– **المسيّرات والذكاء الاصطناعي والاستطلاع:** التفوق في الاستطلاع والاستهداف الدقيق يخفض الكلفة ويرفع فعالية النار؛ حرب حزم الاستشعار لا تقل أهمية عن حرب المدرعات.

– **القوة البشرية والمعنويات:** دورات التعبئة، معالجة الإصابات، وتناوب الوحدات تحت القصف المستمر تحسم القدرة على الاستمرار.

– **الاقتصاد والحلفاء:** قدرة روسيا على تحمّل العقوبات وإعادة تدوير صناعتها العسكرية، مقابل قدرة أوكرانيا على الحفاظ على التزام .وقدرة الغرب سياسيًا وماديًا، هي قلب الميزان.

– **الإطار القانوني والسياسي بعد الحرب:** مستقبل أوكرانيا قد يتراوح بين سيادة كاملة في حال تسوية عادلة، أو ترتيبات أمنية/قانونية مركّبة تُدار دوليًا ضمن اتفاق متعدد الأطراف.

الانعكاسات الإقليمية والدولية

– **أمن أوروبا الشرقية وإعادة تعريف الردع:** توطيد البنى الدفاعية للناتو على الحدود الشرقية يرفع كلفة أي مغامرة روسية لاحقة ويطيل زمن الحرب بوصفها "حاجزًا استراتيجيا" أكثر منها معركة حاسمة.

– **سلاسل الطاقة والغذاء:** اضطراب الغاز والحبوب ينعكس على الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

– **حرب السرديات:** من يربح الرأي العام الدولي يحافظ على تدفق الدعم والشرعية؛ الاستنزاف الإعلامي لا يقل قسوة عن العسكري.

ماذا يعني ذلك عمليًا الآن؟

– **خطوط القتال لن تتحرك سريعًا، لكن الكلفة تتحرك يوميًا.**

– **الدعم الخارجي هو شريان حياة لأوكرانيا، والتعبئة الصناعية شريان حياة لروسيا.**

– **أي تسوية ستكون مؤلمة وغير مكتملة، لكنها قد تصبح منطقية إذا تجاوزت الكلفة قدرة التحمل.**

الأذرع العسكرية المؤثرة

– **المدفعية والدفاع الجوي:** كثافة النيران تحُافظ على الضغط وتستهلك المخزون، وأوكرانيا تعتمد على تدفقات الذخيرة وأنظمة الدفاع الجوي الغربية، بينما تُعيد روسيا تدوير صناعتها الحربية لوتيرة طويلة، ما يُعظّم أهمية اللوجستيات على حساب المناورات العميقة.

– **المسيّرات والضربات البعيدة:** أوكرانيا كثّفت ضربات مسيّرة وصاروخية داخل العمق الروسي بإطار مقيّد سياسيًا، لتقويض سلاسل الإمداد ورفع كلفة الحرب لموسكو دون تغيير فوري لخرائط السيطرة.

– **القوة البشرية والمعنويات:** دورات التعبئة، معالجة الإصابات، وتناوب الوحدات تحت القصف المستمر تُصبح محددات مركزية لقدرة الاستمرار، مع ما يرافق ذلك من ضغط معنوي ومجتمعي ممتد.

الآثار الاقتصادية والجيوسياسية

– **اختبار لقدرة التحالفات:** الحرب تحوّلت إلى ساحة قياس لقدرة التحالفات على الاستمرار تحت ضغط الموارد والوقت، مع تراجع فرص الحسم وصعود إدارة المخاطر الطويلة.

– **طاقة وغذاء عبر حدود القتال:** اضطراب أسواق الطاقة والحبوب الناتج عن الصراع يُعمّم الأثر إلى مناطق بعيدة، ويجعل الاستقرار الاقتصادي في دول

الجوار ومناطق الاعتماد على الاستيراد أكثر هشاشة.

– **حرب سرديات ممتدة:** من يحافظ على رواية مقنعة للرأي العام الدولي يُثبّت شرعية الدعم أو يخفّف كلفة العقوبات؛ الاستنزاف الإعلامي لا يقل أثرًا عن الاستنزاف العسكري.

– **تعزيز الحشود العسكرية:** أدى الصراع إلى تعزيز غير مسبوق للحشود العسكرية على طول الحدود الشرقية لحلف الناتو، خاصة في بولندا ودول البلطيق. كما أن انضمام فنلندا والسويد إلى الناتو غير بشكل جذري ميزان القوى في بحر البلطيق، مما أطال الحدود المشتركة بين روسيا والحلف.

– **الاستنزاف الأمني والمالي لأوروبا:** وجدت أوروبا نفسها في حالة استنزاف أمني ومالي، حيث ارتفعت نفقاتها الدفاعية إلى مستويات غير مسبوقة، مما يمثل عبئًا على ميزانيات الدول التي تعاني بالفعل من أزمات اقتصادية

– **سباق التسلح النووي:** أدت التهديدات الروسية المتكررة باستخدام الأسلحة النووية التكتيكية إلى تصاعد القلق العالمي، ودفع دولاً أخرى إلى مراجعة خياراتها الاستراتيجية، مما يزيد من احتمالية انتشار الأسلحة النووية على المدى الطويل.

البعد الاقتصادي: حرب العقوبات وإعادة تشكيل الطاقة العالمية

تمثل العقوبات الاقتصادية الغربية ضد روسيا، والتي تستهدف قطاعاتها الرئيسية مثل الطاقة والمال، سلاحًا رئيسيًا في هذا الصراع.

– **العقوبات وتأثيرها على روسيا:** استهدفت العقوبات قدرة روسيا على الوصول إلى الأسواق المالية العالمية والتقنيات الغربية المتقدمة، بالإضافة إلى وضع سقف لأسعار النفط الروسي. ورغم أن العقوبات أضرت بالاقتصاد الروسي، إلا أن موسكو تمكنت من الصمود عبر تحويل تجارتها نحو الشرق.

– **تداعيات العقوبات على الغرب:** دفعت أوروبا ثمنًا باهظًا لتقليل اعتمادها على الغاز الروسي، تمثل في ارتفاع أسعار الطاقة وزيادة معدلات التضخم إلى مستويات قياسية . هذا أدى إلى أزمة تكلفة معيشة في العديد من الدول الأوروبية.وانهيار الصناعات التي تعتمد على الاستهلاك المكثف للطاقة.

– **المحور الاقتصادي الشرقي:** عزز الصراع من التقارب الاقتصادي بين روسيا والصين والهند، مما أدى إلى ظهور محور اقتصادي شرقي قوي مقابل الغرب. هذا التحول يعيد رسم خريطة سلاسل الإمداد والتجارة العالمية، ويقلل من فعالية العقوبات الغربية على المدى الطويل.

البعد الأيديولوجي وحرب السرديات

النزاع الأوكراني هو حرب أيديولوجيات بين روسيا والغرب، حيث تُستخدم الهوية والقيم كأدوات سياسية..

في الوقت نفسه، هو حرب سرديات تخُاض عبر الإعلام التقليدي والرقمي لتشكيل التصورات الدولية.

هذه الحرب على المعنى لا تقل أهمية عن الحرب على الأرض، لأنها تحدد الشرعية والدعم الدولي لكل طرف.

المعسكر الغربي: يسعى لتقديم الصراع بالدفاع عن الديمقراطية الليبرالية، وسيادة القانون الدولي، وحق الدول في اختيار تحالفاتها. ويسعى لتقديم الصراع على أنه دفاع عن القيم الديمقراطية ضد الاستبداد لكنه في الحقيقة يسعى لتدمير رؤسيا ؤتقسيمها والسيطرة على مواردها.

المعسكر الروسي–الصيني: يروج لـ **نظام عالمي متعدد الأقطاب** يقوم على مبدأ السيادة الوطنية وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول، في مواجهة ما يعتبره "تدخلاً غربيًا" في شؤون الدول الأخرى.

هذا الاستقطاب خلق **حرب سرديات** تؤثر بشكل خاص على **دول الجنوب العالمي**، التي تجد نفسها مضطرة للاختيار بين خطابين متناقضين. فبينما يدعو الغرب إلى إدانة الغزو الروسي، تستغل روسيا والصين السخط التاريخي لدول الجنوب من الاستعمار والتدخل الغربي لتقديم نفسيهما كبديل لنظام دولي أكثر عدالة.

دور الولايات المتحدة في تأجيج الصراع وتوجيهه

الولايات المتحدة لعبت دوراً محورياً في تأجيج الصراع الأوكراني وتوجيهه عبر الدعم العسكري والسياسي والإعلامي، بهدف إضعاف روسيا وتعزيز موقعها في أوروبا.

أبرز أدوار الولايات المتحدة في الصراع

– **الدعم العسكري المباشر:** واشنطن زوّدت أوكرانيا بأسلحة متطورة بعيدة المدى، ومنحتها الإذن باستخدامها لضرب أهداف داخل روسيا، وهو ما اعتبرته موسكو تصعيداً خطيراً.

– **تطوير القدرات التكنولوجية:** البنتاغون استغل الحرب كفرصة لاختبار تقنيات جديدة مثل الطائرات المسيرّة والذكاء الاصطناعي، ما جعل أوكرانيا ساحة تجريبية لصناعاته العسكرية.

– **التأطير السياسي والإعلامي:** الولايات المتحدة تطرح الحرب باعتبارها

دفاعاً عن الـديمقراطية ضـد الاستبداد الروسي، مـا يعزز سرديتها الأيـديولوجية ويكسبها دعماً أوروبياً.

– **توجيه الناتـو:** السياسة الأمـريكية تجاه التـدخل الروسي انعكست على حلف الناتـو، حيث دفعت واشنطن الحلف لـتوسيع دعمه العسكـري واللوجستي لكييف، وتكثيف العقوبات على موسكو.

أهداف واشنطن من هذا الدور

– **إضعاف روسـيا استراتيجيـاً:** عبر استنـزافها في حـرب طويلـة الأمد، ومـنعها من فرض نفـوذها على أوروبا الـشرقية،ثم تقسـيمها لتسهـيل السيطرة وسرقة مواردهـا لحل ازمتها الاقتصادية المتصـاعدة (روسيا هي الدولة الاغنى في العالم بمواردها الطبيعية).

– **تعزيز الصناعـات العسكرية الأمريكية:** الحرب وفرت فرصة لتسويق الأسلحة الأمريكية واختبارها في ظروف قتال حقيقية.

– **الحفاظ على قيادة الغرب:** مـن خلال توجيه الناتو وتوحيد أوروبا خلف واشنطن، خاصة بعد التوترات التي ظهرت في عهد إدارة ترامب السابقة.

– **إعادة تـشكيل النظـام الدولي:** عبر منع روسـيا من فرض نـموذج بديل للنظام الليبرالي الغربي، وإبقاء العالم في إطار الهيمنة الأمريكية.

– **انعكاسات هذا الدور**

– **تصعيد الصراع:** السماح لأوكـرانيا بضرب الداخل الروسي يفتح فصولاً جديدة من المواجهة ويزيد احتمالات توسع الحرب.

– **توازنات جديـدة:** روسيا تبحث عن تعزيز تحـالفاتها مع الصين وإيران وكوريا الشمالية لمواجهة الضغط الأمريكي.

– **أوروبا بـين التبعـية والاسـتقلال:** بعض الـدول الأوروبيـة ترى أن واشنطن تـدفعها نحو مـواجهة طويلـة الأمد قد لا تخـدم مصالحها الاقـتصادية والأمنية.

الخلاصة: الـولايات المتحدة لا تكتفي بـدور داعم، بل هي طرف موجّه للصراع الأوكراني، تستخدمه كـأداة لإضعاف روسيا، اختبار قـدراتها العسكرية، وإعادة تثبيت قيادتها للنظام الغربي.

الاستراتيجية الأمريكية تجاه روسيا

تعتمـد الاستراتيجية الأمـريكية ، خاصـة في عهد إدارة بايـدن، على احتواء روسيا وإضعـاف قدرتها على تهـديد حلفـاء الناتـو، دون الدخول في مـواجهة عسـكرية مباشرة.

– **إدارة بايدن الاحتواء والدعم:** تبنت الإدارة موقفًا حازمًا، حيث رفضت بشكل قاطع المطلب الروسي بضمان عدم انضمام أوكرانيا إلى الناتو، مؤكدة على حق الدول في تقرير مصيرها. وقدمت دعماً عسكريًا وماليًا غير مسبوق لأوكرانيا، بهدف إطالة أمد الحرب واستنزاف القدرات الروسية. وترى هذه الإدارة أن مهمتها هزيمة روسيا وتغيير نظامها، من اجل تقسيمها والسيطرة على مواردها (تعتبر روسيا هي الدولة الاغنى في العالم بدون منازع بثروة مقدرة بخمسة وسبعون ترليون دولار) .

– **إدارة ترامب السيناريو:** يمثل عودة دونالد ترامب إلى السلطة سيناريو يثير قلق الحلفاء الأوروبيين .فالاستراتيجة الاساسية لترمب هي فصل روسيا عن الصين ويعتبر ان الخطاء الاستراتيجي الاكبر لادارة بايدن هو مهاجمة الصين وروسيا في ان واحد مما ادى اليالتعاون الوثيق بينهما،ويعتبر ان الصين هو العدو الاول ويجب محاربتها اولا لذالك يجب رشوة روسيا في اوكرانيا لابعادها عن الصين وهذا ما ترفضه الدول الاروبية .هذا التباين في المواقف يمثل أحد أكبر عوامل عدم اليقين في مستقبل الصراع.

تعزيز حلف الناتو كأداة رئيسية

أدى الصراع إلى إعادة إحياء حلف الناتو الذي كان يعاني من "موت دماغي" وفقًا لتعبير الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون. لقد أصبح الحلف الأداة الرئيسية للولايات المتحدة لتوحيد الغرب في مواجهة روسيا.

– **انضمام فنلندا والسويد:** كان هذا الانضمام تحولاً استراتيجيًا ضخماً، حيث أضاف دولتين قويتين عسكريًا إلى الحلف، وألغى الحياد التاريخي للدول الاسكندنافية، مما زاد بشكل كبير من قوة الناتو في بحر البلطيق.

– **الضغط على الحلفاء:** تضغط الولايات المتحدة على الحلفاء الأوروبيين لزيادة إنفاقهم الدفاعي إلى نسبة ٥٪ من الناتج المحلي الإجمالي، مما يعزز من القدرات العسكرية المشتركة للحلف.

الصراع على النفوذ العالمي

الصراع في أوكرانيا هو حلقة في مواجهة أوسع على النفوذ العالمي بين الغرب (بقيادة الولايات المتحدة) وروسيا، مع دخول الصين كلاعب ثالث يراقب ويستفيد من إعادة تشكيل النظام الدولي. إنه صراع على من يحدد قواعد اللعبة العالمية: هل يستمر النظام الليبرالي الغربي بزعامة واشنطن، أم يتجه العالم نحو تعددية قطبية تتقاسمها قوى كبرى.

إذا انتصرت روسيا

– **النظام الـدولي:** يتجه نحو تـعددية قـطبية، حـيث تصبح روسـيـا لاعباً أساسياً إلى جانب الصين والولايات المتحدة.

– **أوروبا:** سـتواجه أزمة ثقة في الناتـو، وربما تتجه بعض الدول الأوروبية إلى سياسات أكثر استقلالية عن واشنطن.

الشرق الأوسط:

– **إيران:** ستستفيد من تعزيز محور روسيا–الصين، ما يمنحها دعماً أكبر في مواجهة الضغوط الغربية.

– **الخليج:** قـد يضطر إلى موازنة علاقاته بين واشنطن وموسكو، خصوصاً في مجال الطاقة.

– **تركيا:** ستعزز موقعها كوسيط بين روسيا والغرب، وتستفيد من موقعها الجيوسياسي.

– **إسرائيل:** ستشعر بقلق من تراجع الهيمنة الأمريكية، ما يدفعها إلى تعزيز تحالفاتها الإقليمية.

إذا انتصر الغرب (أوكرانيا والولايات المتحدة/الناتو)

– **النظام الدولي:** يسـتمر النظام الليبرالي الغربي بقيادة واشنطن، مع تعزيز مكانة الناتو في أوروبا.

– **أوروبا:** ستزداد تبعية أوروبا للولايات المتحدة في الأمن والطاقة.

الشرق الأوسط:

– **إيران:** ستتعرض لضغوط أكبر، إذ سيُنظر إليها كحليف لروسيا المهزومة، ما يعزز العقوبات والعزلة.

– **الخليج:** سـيزداد اعتـماد دول الخليج على واشـنـطن لضمان أمـنها، مع استمرار التعاون في الطاقة.

– **تـركيا:** قد تـواجه ضغوطاً للـتماهي أكثر مع النـاتو، ما يحـد من هامش مناورتها بين موسكو وواشنطن.

– **إسرائيل:** سـتستفيـد من تعزيـز الدور الأمـريكي، مع استمـرار الدعم العسكري والسياسي لها.

إذا استمر الصراع دون حسم

– **الـنظام الدولي:** يـدخل مرحلـة الاستنزاف الـطويل، حيث لا يـنهار أحد الطرفين لكن الجميع يتكبد خسائر.

الشرق الأوسط:

- **إيران وروسيا:** سيعززان التعاون لمواجهة العقوبات.
- **الخليج:** سيحاول الحفاظ على التوازن بين القوى الكبرى، مع الاستفادة من تقلبات أسعار الطاقة.
- **تركيا:** ستستمر في لعب دور الوسيط، ما يمنحها نفوذاً إضافياً.
- **إسرائيل:** ستظل تعتمد على واشنطن، لكنها ستراقب بحذر أي تقارب روسي- إيراني.

الفصل الرابع: التداعيات العالمية للصراع

تجاوزت تداعيات الصراع الغربي-الروسي حدود أوروبا لتؤثر على النظام العالمي بأكمله.

النظام الدولي المتعدد الأقطاب: نهاية الأحادية القطبية

أبرز تداعيات الصراع هو التسريع في الانتقال نحو نظام دولي متعدد الأقطاب. لقد انتهى عصر انفراد الولايات المتحدة بإدارة شؤون العالم .

- **عودة أجواء الحرب الباردة بصيغة جديدة:** عادت أجواء المنافسة بين الكتل، لكن هذه المرة بصيغة أكثر تعقيدًا تشمل عدة أقطاب رئيسية: الولايات المتحدة وأوروبا، روسيا، والصين، بالإضافة إلى قوى صاعدة مثل الهند. هذا النظام الجديد سيكون أكثر تنوعًا، لكنه أيضًا أكثر هشاشة واضطرابًا .
- **تآكل المؤسسات الدولية:** تراجع دور المؤسسات الدولية مثل مجلس الأمن والأمم المتحدة بعد عجزها عن إدارة الأزمة أو فرض حلول، بسبب استخدام حق النقض الفيتو من قبل روسيا. هذا التآكل يهدد شرعية النظام الدولي القائم على القواعد.

الأزمات الإنسانية والاقتصادية

الأزمات الإنسانية والاقتصادية الناتجة عن الحرب في أوكرانيا تُعد من بين الأعنف منذ الحرب العالمية الثانية، إذ خلفت دماراً واسعاً ومعاناة بشرية، وأثرت بشكل مباشر على الاقتصاد العالمي.

الأزمات الإنسانية

- **الخسائر البشرية:** الحرب وُصفت بأنها الأكثر دموية في أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية، مع سقوط عشرات الآلاف من القتلى والجرحى.
- **اللاجئون والنازحون:** ملايين الأوكرانيين اضطروا لمغادرة منازلهم، مما أدى إلى أزمة لجوء غير مسبوقة في أوروبا منذ عقود.

– البنية التحـتية المدمرة: الأضرار المباشرة حـتى نهاية ٢٠٢٣ بلغت نحو ١٥٢ مليار دولار، شملت قطاعات الإسكان والنقل والطاقة والزراعة.

– الأمن الغذائي: تـعطلت سلاسل الإمداد الـزراعية، مـا أثر على صادرات الحبوب الأوكرانية التي تُعد مورداً أساسياً لدول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

الأزمات الاقتصادية

– فـاتورة الحرب: المسـاعدات الغربيـة لأوكرانيا بـلغت حوالي ٢٧٩ مليار دولار، بينما تحتاج إعادة الإعمار إلى نحو ٥٠٠ مليار دولار.

– التضخم العالمي: الحـرب رفعت أسعار الغذاء والطـاقة بشكل كبير، مما أدى إلى زيادة التضخم وتآكل الدخول في مختلف الدول.

– تـراجع النمو الاقتصـادي: صندوق النقد الـدولي أكد أن الحرب وجهت ضربة قوية للاقتصاد العالمي، وأدت إلى تباطؤ النمو وزيادة حالة عدم اليقين.

– تـأثيرات على الشرق الأوسـط وشمال أفريقيـا: المنطقة تـأثرت بشكل مباشر عبر ارتفـاع أسعار القمح والوقود، ممـا زاد من الضغوط على الأمن الغذائي والرفاه الاجتماعي.

إنسانياً: ملايين اللاجئين، آلاف الضحايا، وبنية تحتية مدمرة.

اقتصـادياً: فاتـورة ضخمة لإعـادة الإعمار، تضخم عـالمي، واضطراب في أسواق الطاقة والغذاء.

الحـرب الأوكرانية ليست أزمة محلية فقط، بل أزمة عالمية متعددة الأبعاد، انعكست على أوروبا، الشرق الأوسط،

أزمـة الغذاء: تـسبب تعطيل صـادرات الحبوب الأوكـرانية والـروسية في ارتفاع أسعـار الغذاء عالميًا، مما هـدد حياة الملايين، خـاصة في إفريـقيا والشرق الأوسط .

أزمة الطاقة: أدت إعادة تشكيل خـريطة الطاقة إلى تقلبات حادة في الأسواق العالمية، مما أثر على التنمية الاقتصادية في الدول النامية.

الآفاق المستقبلية والسيناريوهات المحتملة

يـبدو أن إنهاء الصراع في المـدى القريـب أمر مسـتبعد، وتتراوح الـسيناريـوهات المستقبلية بين الاستنزاف الطويل والتصعيد الخطير.

السيناريو الأول: الاستنزاف الطويل الأمد No-War, No-Peace

هذا هو الـسيناريو الأكثـر ترجيحًا في الـوقت الحالي. يتمثل في اسـتمرار النزاع في أوكـرانيـا دون حسـم عسكـري لأي من الـطرفـين، وتحول الجـبهات إلى صراع

استنزاف طويل الأمد.

– **التأثير:** ستبقى روسيا وأوروبا في حالة نزاع دائم، مما يزيد من تكاليف الصراع على الطرفين، ويجعل من استقرار النظام العالمي أمرًا صعب المنال. ستستمر العقوبات، وسيستمر الدعم الغربي لأوكرانيا.ولكن هل ستصمد اوكرانيا؟.

السيناريو الثاني: التسوية السياسية المؤقتة (تجميد الصراع)

قد يتم التوصل إلى تسوية سياسية مؤقتة، ليس لحل الصراع جذريًا، بل لتجميد الوضع بضغط من قوى دولية كبرى مثل الصين وتركيا، اللتين لديهما مصالح في استقرار الأسواق العالمية.

الحدود: ستكون هذه التسوية أشبه بهدنة، حيث تبقى القضايا الجيوسياسية والأيديولوجية العميقة دون حل، مما يجعل الصراع قابلاً للاشتعال في أي وقت.

السناريو الثالث : استسلام اوكرانيا

قد لا تستطيع اوكرانيا الاستمرار في الحرب،فتعلن الاستسلام لروسيا فستحصل روسيا على شرق اوكرانيا وُسيصبح نهر نيبرو هو الحدود الاواكرانية مع احتلال أوديسا ،وستحاول احتلال دول البلطيق الثلاث وتتحكم في بحر البلطيق .

السيناريو الرابع: التصعيد الإقليمي أو المواجهة المباشرة

وهو الأكثر خطورة. ويتمثل في امتداد الصراع إلى دول أخرى مثل فرنسا وبريطانيا في محاولة لمنع الجيش الاوكراني من الانهيار. ستتدخل كل من فرنسا وبريطانيا وممكن المانيا أيضاً في الحرب (وهذا متوقع في شهر اذار او نيسان اي مع بداية الربيع ،في محاولة لاضعاف الجيوش الميكانيكية الروسية وتحييدها وذلك عبر اغراقها في الوحول، مما قد يفتح الباب لمواجهة مباشرة بين روسيا والاوروبيين.قد يؤدي هذا التدخل الى استهداف لفرنسا وبريطانيا القوتين الوحيدتين النوويتين الاوروبيه بقنابل نووية تكتيكية في محاولة للقضاء على قوتيهما النووية المحدودة .

السناريو الخامس : المواجهة الشاملة

في حال تطور الامر ودخلت الولايات المتحدة الامريكية الحرب(وهذا مستبعد في عهد ترامب)وتدخلت لدعم الاوروبيين واستعملت اسلحتها النووية للرد على الضربات التكتيكية الروسيا فسيشهد العام حرب نووية شاملة.

شكل النظام الدولي المقبل: نظام أكثر تنوعًا وهشاشة

في جميع السيناريوهات، يتجه العالم نحو نظام دولي متعدد الأقطاب. هذا النظام سيتميز بـ:

عالم متعدد الاقطاب (العالم متعدد الأقطاب هو مفهوم يشير إلى نظام دولي لا تهيمن فيه قوة واحدة (مثل الولايات المتحدة بعد الحرب الباردة)، بل تتوزع فيه مراكز القوة بين عدة دول أو تكتلات كبرى، بحيث يصبح القرار العالمي نتاج توازنات بين أطراف متعددة.

ملامح العالم متعدد الأقطاب

– **تراجع الهيمنة الأمريكية:** لم تعد واشنطن قادرة على فرض إرادتها منفردة كما في التسعينيات وبداية الألفية.

صعود قوى جديدة: الصين، روسيا، الهند، والاتحاد الأوروبي باتت تمتلك نفوذاً اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً يجعلها شركاء أو منافسين في صياغة النظام الدولي.

تعدد مراكز القرار: القرارات الكبرى (الأمن، الاقتصاد، الطاقة، التكنولوجيا) لم تعد تُتخذ في واشنطن وحدها، بل عبر مفاوضات وتحالفات مع قوى أخرى.

التحالفات المرنة: لم يعد هناك معسكران ثابتان كما في الحرب الباردة، بل شبكات متغيرة من التحالفات حسب المصالح (مثلاً: تعاون روسيا–الصين في مواجهة الغرب، أو تعاون أوروبا–أمريكا في الطاقة والأمن).

• قدرة الدول متوسطة القوى مثل ايران وتركيا على التحرك بهامش اكبر في القضاية الاقليمية والدولية.

انعكاسات العالم متعدد الأقطاب

– **الاقتصاد العالمي:** تنوع مصادر التمويل والتجارة، مع بروز عملات بديلة للدولار مثل اليوان الصيني والروبل الروسي في بعض المعاملات.

– **الأمن الدولي:** زيادة احتمالات النزاعات الإقليمية، لأن القوى الكبرى تتنافس على مناطق النفوذ (أوكرانيا، الشرق الأوسط، بحر الصين الجنوبي).

– **الدول المتوسطة والصغيرة:** يمنحها هامش مناورة أكبر، إذ يمكنها الموازنة بين القوى الكبرى لتحقيق مصالحها، بدل الارتهان لقوة واحدة.

– **الشرق الأوسط:** المنطقة تصبح ساحة تنافس بين واشنطن، موسكو، وبكين، ما يفتح المجال أمام دول مثل تركيا وإيران والسعودية لتعزيز أدوارها الإقليمية.

إن عالم متعدد الأقطاب يعني نهاية مرحلة "القطب الواحد" التي هيمنت فيها أمريكا، وبداية نظام أكثر تعقيداً تتوزع فيه القوة بين عدة أطراف. هذا النظام قد يخلق فرصاً للدول الصاعدة، لكنه أيضاً يزيد من احتمالات الصراع بسبب غياب مركز واحد للقرار وسيبرز ذلك في :

– انخفاض في فعالية القانون الدولي والمؤسسات الدولية بسبب عدم القدرة على القرار بسبب تنوع المصالح للدول واختلافها.

– هشاشة أكبر في العلاقات الدولية وزيادة في احتمالية الصراعات الإقليمية.

الخاتمة: معركة على شكل العالم

يمثل الصراع بين الولايات المتحدة والغرب وروسيا أكثر من مجرد نزاع على أوكرانيا؛ إنه معركة على شكل النظام العالمي المقبل. لقد كشف الصراع عن عمق الجذور التاريخية والجيوسياسية والأيديولوجية التي تفصل بين المعسكرين.

لقد أثبتت روسيا، من خلال صمودها الاقتصادي وتحولها نحو الشرق، أنها عازمة على تحدي الهيمنة الغربية، حتى لو كان الثمن هو الاستنزاف الطويل الأمد. في المقابل، أظهر الغرب قدرة على التوحد وإعادة إحياء حلف الناتو، لكنه دفع ثمنًا اقتصاديًا باهظًا.

إن الآفاق المستقبلية تشير إلى أن العالم يتجه نحو فترة طويلة من المنافسة الاستراتيجية، حيث ستكون السياسة الدولية أكثر اضطرابًا وأقل قابلية للتنبؤ. وسواء انتهت الحرب في أوكرانيا بتسوية أو استنزاف، فإن الأثر الأعمق للصراع هو التحول الجذري في موازين القوى العالمية، وبزوغ فجر نظام متعدد الأقطاب سيكون أكثر تعقيدًا في إدارته.

.